لعادية إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا
فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من
قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية توجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد
بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا
لانه باطل حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه المعجز ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وَلَيَزِيدَنَّ
كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة عنهم لك إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ
وَالنَّصَارَى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان
الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا
في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على
الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء
والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
صَالِحًا في محل الرفع بالابتداء وخبره فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي
من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون
بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ بما يخالف
هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول
منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك دينهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الاي وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ
اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان
هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها
ساد مسد مفعوليه فَعَمُوا عن الدين والدلائل والهدى وَصَمُّوا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثُمَّ تَابَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى اعماهم واصمهم اي رماهم بالعمى
والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كَثِيرٌ مِنْهُمْ بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا
محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ فيجازيهم وفق اعمالهم لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ في عبادته او فيما يختص به من الصفات
والافعال فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين وَمَأْوَاهُ النَّارُ فانها المعدة
للمشركين وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن
طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية منهم
والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق من قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وما في الوجود ذات
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق
وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ ولم يوحدوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر
او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضع موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم
ينقلع ولذلك عقبه بقوله أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال
الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها
حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كسائر النساء
اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال
ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركونهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا

من افراد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ
ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قُلْ
أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله
به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا
الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ اي غلوا باطلا
فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ممن تابعهم على بدعهم
وضلالهم وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى
ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ
مَرْيَمَ اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب
المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اي ذلك اللعن
الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ اي لا ينهى بعضهم بعضا
عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ من اهل الكتاب يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة أَنْ
سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص
محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين
فالمراد نبينا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ اذ الايمان يمنع ذلك وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم
الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نَصَارَىٰ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عراض
عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ عطف على لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة
وجعلت اعينهم من فرط البكاء تفيض بانفسها مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بذلك او بمحمد فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ من الذين شهدوا بانه حق او
بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ
الصَّالِحِينَ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم وجواب سائل قال
لم لا تؤمنون ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى
مقيدا بها او نؤمن فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في
النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين
فامر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم سورة يس فبكوا وامنوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ عطف التكذيب بايات الله
على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس
ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا
صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا
فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا
طَيِّبًا اي وكلوا ما رزقكم الله ويكون حلالا طيبا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة